سناجب تحمل لوحة الألوان وترسم

محمد الأسعد

رأيتُ فلسطينياً يبولُ
على جداريةِ محمود درويشْ
فقط لإغاظة العجوز عرفاتْ
وعصابتهِ المشغولة بتكديسِ الدولاراتْ
أعرفُ أنهم سيجدون وقتاً لاصطيادهِ
ودحشهِ في بيت خالتهِ
ولكنهم لن يجدوا وقتاً يكفي
لمحو أشكالهم القردية التي انغرستْ
في الذاكرةْ
منذ أن رسمها سنجابٌ ضاحكْ

*

حاول ياصديقي أن تقولَ
أشياءً حقيقيةً
أكثر واقعيةً من هذا الألمْ
صحيح أن ألسنتنا ثقيلةٌ
مثل قطعٍ حديديةْ
والماءُ ، إن وجدناهُ ،
سيكون بطعم الصدأْ
صحيح أن أهلنا
يعيشون يومهم
وأفواههم محتشدة بكلماتٍ خرساءْ
ويرون أنفسهم معلقينَ
في الأحلامِ
مقلوبينَ

رؤوسهم ترن كالِأجراس ْ
ولكن السناجب َ
تستطيع أن ترسم
وتغني أيضاً
لساحل ِ حيفا الذي مسحوه
عن الخريطة ْ

*

القوافي بذيئة ْ
والأوزان ُ شراك ُ القوادين ْ
ولعبة ُ إصبع الزمار ِ
على فراش ِ الموت ْ
إذن
قل أشياء َ أكثر واقعية ً
من هذه الطعنة التي
أصابت ْ قلوب َ الأمهات ِ
والسجناء ْ
وتغلغلت ْ حتى توابيت ِ الأسلاف ْ
قل شيئا ً
عن هذه الجدارية الحقيقية ْ
فوق الجليل والساحل ِ
وفلسطين الشرقية ْ
قل شيئا ً
عن الضباع ِ المتشبثة بالساحل الفلسطيني
وهي تطلّ منذ قرن ٍ على حواكير ِ الفلاحين ْ
منشدة ً نشيدها المعتم ِ
نشيد َ أرواح ٍ
تبناها الشيطان ْ
قل شيئا ً
عن أطفالنا المحرومين من الأقلام الملوّنة ْ
من مخطوطات ِ شعرائهم المنفيين ْ
من روايات آبائهم الممنوعة ْ
قل شيئا عن الفدائي السنجاب الذي رسمناه ُ
في دفاتر ِ الإنشاء ْ
فقط
لاتقف وحيدا ً دامعا ً
حاول أن تقول َ شيئا ً

حقيقياً .

مجلة "العصور الجديدة"، القاهرة، أغسطس 2000